مارتن لوتر: بداية الإصلاح ونشأة البروتستانتية

ملخص

لعب مارتـن لوتر (1483ـ1546) دوراً مهماً في الإصلاح الديني في الولايات الألمانية حيث عكف على دراسة النيارات الفكرية المختلفة التي كانت رائجة في عصره مثل التطور والفلسفة الإنسانية.

لم تكون ثورة لوتر عادية، على نظام حكم فاسد أو وضع اجتماعي بغيض، بل كانت ثورة على نظام لاهوتي فقد مصداقيته بكل ما يحمله هذا النظام من قوة لا تناسبها قوة سياسية واجتماعية. وقد استنتج لوتر من قراءاته الدينية أن المسيحيين لا يفرون بالخلاص بفضل مجهوداتهم الشخصية ولكن برحمة من الله لا إيمانهم به، ودفعه هذا الاستنتاج إلى رفض بعض المبادئ والمعتقدات الأساسية الغير صحيحة.

(*) ان مصطلح البروتستانت مشتق من الكلمة اللاتينية protesta وتعني لغوياً الاحتجاج والرفض وأول ما أطلق على اللوثريين، ثم استعمل للدلالة على جميع مؤيدي حركة الإصلاح الديني بما فيهم اللوثريان.


(***) قسم التاريخ – كلية الآداب / جامعة الموصل.
مارتن لوثر: بداية الإصلاح ونشأة البروتستانتية

في الكنيسة الكاثوليكية مثل (صكوك الغفران) و قدسية النظام الكهنوتى، هذا و برز لوثر في التاريخ المسيحي باعتباره الرجل الذي خلق قسم من المسيحيين من سلطات البابا الكنيسة، و ردهم إلى حرية التفكير. و قد لوتر الأنشقاق الذي انتهى بظهور المذهب البروتستانتي الذي يدين به اليوم معظم الأمريكيين والبريطانيين والألمان.

النشأة الاجتماعية لمارتن لوثر

ولد مارتن هانس لوثر في العاشر من تشرين الأول 1483 م في قرية إيزلينب في مقاطعة ساكس في ألمانيا (1). وكان لوثر من أسرة فلاحية فقيرة كان والده يعمل في أحد مناجم النحاس، هذا وقد تأثر لوثر بالحياة البسيطة التي كانت تعشه أسرته مما كان له أثر كبير على حياته و نشأته (2). وقد تزوج خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته من الراهبة كاترين فون بورا Catherine Von Bura و أنجب منها ستة أبناء إلا انه رغم ذلك لم يتوقف عن دعم حركة الإصلاح الديني حتى وافاه

---

(1) ان الغالبية من هذه الصكوك هي جمع الأموال من المسيحيين عن طريق رجال الدين والمصارف وتقوم الكنيسة بدورها اتفاق هذه الأموال على الآمور الدينية والتذويقية لهم وهي كفيلة بالتفكر عن ذنب الخاطئ، واعد لوثر هذه الظاهرة تحولاً للدين إلى تجارة دنيوية نافحة، انظر: مارتن لوتر.


جون مارتن ، تاريخ العالم، المجلد 6 ، دار الثقافة العامة ، (مصر ، د.ت.) ، ص 67.

(3) G.R. Eltom , Reformation Europe 1517-1559 , (London , 1963), p.15
الأجل خلال زيارته لمدينة ايزلبيين مسقط رأسه في الثامن عشر من كانون الثاني 1546م. 

تناول لوث تعليمه في مدرسة مجدبورج (Magdburg) (Brothers of the common life) واتم دراسته في ايزلبيين. وبعد أن اكمل تعليمه في اللغة اللاتينية والأصول الدينية الكاثوليكية اتجه لدراسة الحقوق في جامعة ارفورت خلال الفترة 1501-1505م، تلبية لرغبة والده الذي كان يحلم في أن يرى ابنه رجل قانون، لأن الحقوق أذكى كانت من الموضوعات اللامعة والمثيرة في الحياة الاجتماعية. ولكن لوث لم يكمل دراسة الحقوق، إذ كانت نوزع نفسه تهتف به إلى الحياة الروحية لا المادية.

(4) Ibid , p.70;
(5) WWW. Alamalcomputer . com
(6) P.J.Helm,History of Europe 1450-1660, printed in Great Britain,1976,p.112;
(7) عبد الفتاح حسن أبو علية وإسماعيل باعي، تاريخ أوروبا الحديث والعصر، دار المرجع (الرياض، 1979)، ص 94.
(8) هذا ما قاله شقيق الحوت مقدم كتاب نافاق اليهود ترجمة عجاج نوبهش ط، 1، دار الفكر (بيروت، 1974)، ص 38-39.
مارتن لوتر : بداية الإصلاح ونشأة (البروتستانتية)  

د. أياد علي ياسيه

نشأ لوتر شديد الذكاء (9)، متتهب الخيال، قلق الفكر، يغامره الخوف من الذنب والشيطان، ورهبة العدل الإلهي، فلزم على الانخراط في سلك الرهبنة، لا لأنه كان حائراً شديد الارتباك من جراء شكوك أخذت تساور نفسه (10). ولعله يجد في ذلك نجاة له من خطاباته، وخلاص له من ذنوبه (11).

دخل لوتر في السابع عشر من تموز 1505 م دير الأوغسطين


لقد أصبح لوتر في عام 1507 م كاهناً، وخلال هذه العام نال شهادة الدكتوراه في علم اللاهوت، ثم استدعي للتدريس في جامعة

(9) Eltom, op.cit.p.15.
(10) حاتوم، المصدر السابق، ص 163.
(11) على حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الأوروبية الحديثة، دار واسط (بغداد، 1990)، ص 74.
(12) عبد الحميد البطريرك، عبد العزيز سليمان نور، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية، (بيروت، 1974)، ص 95.
(13) حاتوم، المصدر السابق، ص 163؛ أبو علية، المصدر السابق، ص 93.
(14) عبد العزيز محمد الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ج 1، ط 1، مكتبة الأناضول المصرية، (مصر، 1977)، ص 371؛ البطريرك، المصدر السابق، ص 95. وتمديد من التصاقيل عن أفكار أوغسطين، راجع: نورمان، ود. أنجيرو المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفوشيوش إلى تكون، ترجمة نوافن فروق، دار القلم، (بيروت، 1972).
آداب الرافذية

- العذد

عدد (51) ـ 1429 هـ – 2008 م

Fredrick Wittenberg وتنبغي عام 1508 م (15). والتي أسسها فردريك العاقل أمير سكسونيا في عام 1502، ولم تلبث هذه الجامعة أن أصبحت المعهد الأساسي للتعليم اللوثرية ومنافساً كبيراً للسوربون (16). ومن هذه الجامعة مع اسم لوثر، والتلف حوله الرواد من تلاميذ المعجبين بارائه وتأملاته. ولاسماً في المسألة التي كانت تشغل بالله مسألة (الخلاص) والتطور من الخطاياً.

لقد كان لوثر يطمح إلى إصلاح الحياة الدينية، ولم يكن في البداية يسعى إلى تأسيس مذهب ديني جديد ولا حتى في أن يكون مسلحاً، وقد صرح ذات يوم ان الله قاده إلى هذا الدرب كما يقد (الحصان الأعمى) (17).

ومنه زار لوثر روما في عام 1510م لمدة شهر اطلع بنفسه على أخطاء ومساوئ الكنيسة الكاثوليكية (19). وركز مارتن لوثر في زيارته لروما على الأخطاء التي عبرت عنها بهارج الأحجار وترفهم والمظاهر العصرية والسياسية والعسكرية التي طبعت بها حياة رجال الدين في أوروبا. يذكّر لوثر لم يغضب لما وجده من فن ديني يخدم الدين، ولا من تعاليم الكاثوليكية هناك، بل الذي جلب انتباهه انحراف رجال الدين عن بساطة المسيحية ونقاوتها الأولى، ومن هنا كان انطباعه عن

(15) مارتن لوثر: الثورة للإصلاح.

(16) حسن صبحي، محاضرات في التاريخ الأوروبي الحديث، ج 1، مطبعة شباب الجامعة (الإسكندرية، 1975)، ص 80.

(17) البطريق، المصدر السابق، ص 95.

(18) البطريق، المصدر السابق، ص 95.

البابوية انطباعًا سينارياً تميّز في نضجه، ودفعه بالتالي إلى النقد، ثم الثورة الدينية على البابوية بعد أن تسببت بعواقبها (20).

دوافع لوثر في الإصلاح الديني

1- مساوئ الكنيسة الكاثوليكية، وممارسات رجالاتها من أهم دوافع وسياج
الإصلاح الديني، ومن المعروف أن الكنيسة كان لها سيطرة على حياة الناس
и وعقولهم لنفسة طويلة من الزمن، ومارس القمع وأساليبه الوحشية تجاو أي رأي
لا ينطبخ مع آرائها ومبولاها، وحاربت الكنيسة طروحات المفكرين الأحرار الذين
وصقتهم بالإلحاد والمروق، وقضت على عدد كبير منهم عن طريق محاكم
التفتيش (21).

كانت الكنيسة الكاثوليكية تحتل موقعًا حاسمًا في الولايات الألمانية، ومع بداية
القرن السادس عشر كان كبار رجال الدين وعدد من الأساقفة في الولايات الألمانية
يملؤون في الوقت نفسه أمراء إقطاعيين إمبراطوريين (22). وكان البابا مصدراً في
إدارة الحكم وفرض قوته على عامة الشعب الألماني. فأرسل اتباعه من رجال الدين
إلى ألمانيا يجمعون المال بعدة طرق. فتمت محاصرة البابا في أعمال الرشوة

(20) أبو علية، المصدر السابق، ص ص 93-94.
(21) مفيد الزيد، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والعصر، 1500-1789، ط1، ج2 (عمان، 2004).
(22) هم الذين يسعون ما يتشابك مع مصالح أمواتهم ويجاهلون القرارات التي تتعارض مع مصالحهم.
(23) خليل علي مراد، دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والعصر، (الموصل، 1988)، ص 50.
والابتعاد فكانوا يجمعون المال من المرشحين للتعيين في الوظائف الكنسية (24)، وبعث صكوك الغفران، فضلًا عن الهبات والهدايا التي كانت ترسل إلى روما من قبل الأمراء والقوى المتلفزة والحجاج (25). وقد صرفت هذه الأموال على إقامة المعابد والقصور والكنائس وزخرفتها (26). كما مارسوا سلطة تفسير وتطبيق وراءية تنفيذ أحكام الدين. فلتكا حق الإباحة والتحريم مما جعل لهم على الناس سلطانًا لا تستقيم حياة الناس بغير طاعتهم (27).

كما نتجت بعض من البابوات إلى إتباع سياسة جديدة بحجة الاستعداد لحرب صليبية قريبة ضد الدولة العثمانية. وغير ذلك من الكذب والخداع الذي كان البابوات يعينون إليها بهدف الحصول على الأموال وتحقيق مكاسب في حياتهم الدنيوية، وأصبحوا في هذه الفترة من التاريخ جماعة من المترفين الذين لا يعنون من أمر الكنيسة بقدر ما يعيه تحقيق مصالحهم الخاصة ومصالح أقاربهم وذويهم (28).

(24) ل.م. هارتمان، و.ج. باراكلاف، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة جوزيف نسيم يوسف (بيروت، 1981) ص ص 47-49، 54، المطران، المصدر السابق، ص 93.
(25) مراد، المصدر السابق، ص 51.
(26) أبو علاء المصدر السابق، ص 94.
(27) يوسف الحسن، البعد الليفي في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، 1990)، ص 63.
(28) محمد خريصان وآخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، دار الكنيدي للنشر، (الأردن) 1999، ص 275؛ المطران، المصدر السابق، ص 93.
لابرهمان (الرايخشتاغ) في الولايات الألمانية عن التنديد بتلك
المثاليب ووسائل انتزاز الأموال باسم الكنيسة وكان عامة الشعب يعثون باحتجاجهم
في رسائل متعددة إلى روما ولكن دون جدوى .

ومن جهة أخرى أدى ضعف سلطة الإمبراطورية الرومانية المقدسة إلى
تنامي السيطرة البابوية على البلاد. وكانت البابوية بتصرفاتها هذه تثير استياء
أوساط واسعة من سكان ألمانيا، فكان الأمراء والنبلاء يحلمون بمصادرة ممتلكات
الكنيسة، وكان الفلاحون ينظرون إلى كبار رجال الدين نظرتهم إلى سادتهم
الإقطاعيين.

2. ساهمت النهضة الأوروبية، التي أدت إلى تقوية عناصر النظام القائم في
تمهيد الإصلاح الديني. فقد أدت أفكار هذه النهضة واعادة أعلامها
واقادتها، وبعث التراث الكلاسيكي، والتقدم العلمي الجاف، والحركة
الإنسانية، واختراع الطباعة إلى فتح أبواب واسعة للناس المتطلعين نحو حياة
جديدة بعيداً عن قيود وسيطرة الكنيسة، كما ان للاستكشافات الجغرافية
الكبرى ونتائجها العلمية دور في بطلان الكثير من آراء الكنيسة التي
كانت متمسكة بها.

3. كان نمو الشعور القومي وقيام الحكومات الملكية القومية دافعاً مهماً في نهضة
الإصلاح الديني، إذ أخذ المجتمع الألماني يطلع إلى إقامة كنائس قومية بعيدة

(29) البطريق، المصدر السابق، ص 93.
(30) مراد، المصدر السابق، ص ص 50-51.
(31) الزيدي، المصدر السابق، ص 419.
(32) مراد، المصدر السابق، ص 47.
عن سيطرة السلطة البابوية، كما أن الناس طالبا استبدال اللغة اللاتينية بلغتهم القومية في إجراء الطقوس الدينية التي ما كان يفهمها الأفني من المتثقفين ورجال الدين. وهكذا اتخذت المسألة الدينية في ألمانيا صيغة شعبية عامة، وأصبحت مسألة إنقاذ ألمانيا من وجهة نظر البابوية مسألة قومية عامة، لذلك كان من الطبيعي أن توجه أولى ضرائب الإصلاح الديني ضد البابوية من الأراضي الألمانية (33).

4. أدى الأنسانيون (34)، دوراً حيوياً في توقيع النسج وتهيئة العقول لقبول فكرة الإصلاح، فقد انتقد هؤلاء الأوضاع السيئة والمتردية في الكنيسة ورجال الدين وأفسحوا المجال أمام النقد وحركة التغيير والإصلاح. وركز الأنسانيون الألمان على دراسة اللاهوت والعقيدة المسيحية، حتى أن النهضة اتخذت في ألمانيا طابع إصلاح ديني. فمنذ أواسط القرن الخامس عشر ظهرت في الجامعات الألمانية حلقات خاصة لدراسة التراث القديم، وكانت هذه الحلقات تنتقد الفلسفة المدرسية السائدة آنذاك في التعليم الجامعي. كما طالب الأنسانيون بتحرير العلوم من الفكر الكنيسي، وتحرير الفكر من قيود الكنيسة، واهتموا في قضايا مهمة مثل التطور القومي للألمان، ودور البابوية في تدهور ألمانيا (35). ومن أبرز الأنسانيين الذين مهدا للإصلاح الديني في ألمانيا وهم:

(33) المصدر نفسه، ص 51.
(34) هم الذين رفضوا كل ما استجد من أنظمة وعادات وتقاليد على المسيحية خلال القرن الوسطى. ودعوا إلى الاهتمام بالتراث الكلاسيكي وتطبيق الأصول الحديثة والقواع الانتقادية على التفسيرات الدينية والنصوص القديمة. لمزيد من التفاصيل انظر : محمد محروم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي، ط 1، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1983)، ص ص 106.
(35) الزبيدي، المصدر السابق، ص ص 419-420-423.
مارتن لوثر : بداية الإصلاح ونشأة (البروتستانتية) 

أ- ديدية أرازمس Didie Erasmus (1466-1536م)

راهب كاثوليكي وأستاذ في العلوم الإنسانية (36) ولد في مدينة روتردام الهولندية(37)، قضى سنوات طويلة في أحد الأديرة، وبعد تركه للدير دعته إنكلترا وفرنسا وألمانيا وعاش في كل من هذه ممالك الثلاثة مدة من الزمن فترك أثرا عميقا في أفكار أهلها. وكان أرازمس كباقي رجال النهضة ولعْا بالإصلاح الديني (38). حيث قضى سنوات عدة في ألمانيا، وقد درس نتاجات الإنسانيين الألمان والكتب牢固اً واسعة في ألمانيا، وأدت ترجمته للإنجيل وكتابات أباء الكنيسة من اليونانية إلى اللاتينية دوراً بارزاً في الحياة الثقافية، وكتب بسخرية لنشر السلبيات وحياة الجهل والغباء، وانتقادات لاذعة للكبار رجال الدين، وكشف الغطاء عن كثير من أغلاظهم الفاحشة، واتهمهم بالجشع وحب المال وإشعال الحروب، وإهمال الروح والفكر الحر والعلم ونشر الخرافه. كما دعا هذا المفكر الإنساني إلى وضع أسس عقلانية، والتي ضرورة إصلاح الكنيسة من الداخل (39).

ب- يوهان ريوخلن Euhen Reuchlin (1455-1522م)

بعد ريخلن من الإنسانيين في ألمانيا، حاول التوفيق بين الأخلاق المسيحية ومفاهيم الحركة الإنسانية. وأكد على النظرة الإيجابية للحياة الدنيوية وتجنب

(36) هذا ما قاله شفيق الحوت مقدم كتاب، نافق اليهود، لموقفة مارتن لوثر، ترجمة عجاج نوييض، ط 1، دار الفكر، (بيروت، 1974)، ص 35.
(37) أبو عليه، المصدر السابق، ص 90.
(38) سليمان، المصدر السابق، ص 71.
(39) الزيدي، المصدر السابق، ص 423، سليمان، المصدر السابق، ص 72.
الأصطدام مع الكنيسة، ووقف ضد الحركة البروتستانتية، ولكن مع ذلك دخل في جدل طويل مع رجال الدين في مدينة كولون حيث وقف إلى جانب الإنسانيون الشباب الذين سموا أنفسهم بـ (الريخنئين).

**جـ- أولريخ فون هوتتن (Ulrich Von Hutten)**

كرس هوتتن نفسه للحركة الإنسانية، بعد هروبه من الدير واختيار حياة بسيطة، وقد أكد على حياة الإنسان، وهاجم البابوية بعد زيارته لروما عام 1513م وفضح الباب وقام إليه من الفاسدين، وسخر من صكوك الغفران. وكان هوتتن على علاقة بحركة الفرسان (42)، واعتقد بأن هؤلاء سيعيدون للإمبراطورية قوتها، ودعم هوتتن حركة مارتن لوثر، ودعاه إلى طرد القس من ألمانيا وفرض الإصلاح بالقوة ودعم انتفاضة الفرسان عام 1522م.

هكذا مهد الإنسانيون الألمان فكرياً لحركة الإصلاح الديني في ألمانيا، ووقع العديد من زعماء الإصلاح تحت التأثير المباشر لأفكارهم، منهم مارتن لوثر.

(40) جماعة من أصحاب العقول الإنسانية المتهمسة إلى التحرر الفكري، حيث التقوا حول آراء روينان.
(41) موسوعة لنظرية الفضاء، تأليف إبراهيم خالد، ترجمة أحمد عفيف، طبعة دار المعارف، القاهرة، 1964، ص. 95-96.
(42) الفرسان طبقة ذات نفوذ إقطاعي وكئونو يتمكنون من قوىهم وتوظيفهم لحفظهم على مراكزهم، ولكنهم في أواخر العصور الوسطى قادوا ما كان لهم من هيبة وسلطان بعد اتحاد الجماعات الإقطاعية. لمزيد من التفاصيل انظر ص 16 من هذا البحث.
(43) موسوعة الفضاء، تأليف مهارون، محمد نجيب، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1970، ص 424.
(44) موسوعة الفضاء، تأليف مهارون، محمد نجيب، الطبعة الثالثة، القاهرة، 1970، ص 52.
جهود لوثر في الإصلاح

استمر لوثر في حالة اضطراب وقلق قبلي حتى توصل إلى وضع خطة
لإصلاح العقائد الكنيسية وسلوب ممارسة طقوسها (45) التي بعثت في نفسه الهدوء
والرضا والطمأنينة وهى أن الإيمان المطلق برحمة الله يكفل النجاة من عقابه، وإن
الصلاة والعبادة بجميع طقوسها وأشكالها ليست كافية للخلاص من الخطايا
(46). وإنما هو "الإيمان وحده" والهدية الروحية التي منحها الله لكل نفس (47). في هذا
الأيمان وحده سبيل الخلاص من الخطيئة لا في الأعمال التي كانت الكنيسة تنصح
بها مثل حضور القداس وتكرار الصلاوات والحج وزيارة العتبات المقدسة (48). تلك
هي العقيدة التي اهتدى إليها مارتون لوثر من دراسته للكتاب المقدس،
ورسالة الرسول بولس إلى مسيحي روما وسميت بعقيده "التبير بالأيمان"
(49).

ومن هنا أصبحت هذه الأفكار هي فلسفة البروتستانت أصحاب المذاهب
الإصلاحية بعد أن تبنوا على عاداتهم ضرورة إصلاح الأخطاء والمساواة التي
دخلت في جسم الكنيسة الكاثوليكية نتيجة لسوء فهم وادراك بعض الباطنات ورجال
الذين من ذوي المناصب الدينية الكبرى (50).

---

(45) لوثر ، المصدر السابق ، ص 40.
(46) الطريقة ، المصدر السابق ، 191.
(47) روبرت ر. بارمر ، تاريخ العالم الحديث ، ترجمة محمود حسين الأمين ، ج 1 ، مكتبة الوفاء ، (المؤصل،
د. ت ) ، ص 130.
(48) سليمان ، المصدر السابق ، ص 74.
(49) الطريقة ، المصدر السابق ، ص 95.
(50) أبو علية ، المصدر السابق ، ص 94.
وفي عام 1515-1516 م اخذ لوثر يطرح على الملا مبادئه وارائه.
ويعرض أفكاره الأساسية التي كان لها أثره الكبير في تغيير مجرى التاريخ الأوروبي كله (51). حيث لم ينتمي أحد إلى تعاليم لوثر إلى أن جاء عام 1517 م، وكان قد بلغ من العمر يومذاك أربعة وثلاثين عاماً. ففي هذه السنة حدث حادث
رفع لوثر بغثة أمام الانتظر (52).
فقد توجه الراهب هنا تقترز León Tetzel تسمى الدومينكان (53) Lorder des Dominicans إلى ألمانيا عام 1517 م من أجل بيع صكوك الغفران على الناس (54)، وكان البابا قد خوله جمع الأموال لبناء كنيسة القديس بطرس في روما (55).

(51) حاطوم، المصدر السابق، ص 164.
(52) سليمان، المصدر السابق، ص 74.
(53) تأسست الرهبة الدومينليكية التي عرفت برهانية الأجرة الواجب في السادس عشر من كاثوليكية D ominico De cozman عام 1216م على يد الراهب الأساسي دومينيك دي كوزمان، وكانت بدايتها في فرنسا. وكان نشأها كبيرة فقد فضل لما وصل إليه أوضاع الكنيسة القاثوليكية من تدهور، حيث كثرت الحركات المناوئة لها، والتي عرفت بالتراثات) تدعو للنزاع والعودة إلى سيرة القدسيين الأولين، ثم توسعت رهبة الواجبات وامتدت إلى مناطق عديدة في العالم وكانت لها تأثيرات واضحة في الفكر الأوروبي خلال العصور الوسطى وعصر النهضة ولتزيد من التفاصل انظر: جيجر، هنري، دومينيك في النشر في دراسة في نشاطهم، الطبية والثقافية والاجتماعية 1750-1974، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية، الموصل 2001، ص 48؛ لومون، مختصر تاريخ الكنيسة، ترجمة يوسف داود (الموصل، 1913)، ص 444؛
(54) بالمر، المصدر السابق، ص 130؛ الشناوي، المصدر السابق، ص 373.
(55) اللواء على الكنيسة.
www.Alroo.net مسئلة من شبكة الإنترنت: الموقع
مارة لوثر: بداية الإصلاح ونشأة البروتستانتية

وقد بلغ ينتزل الجرأة، وهو يبيع هذه الغفرانات أن يقول وهو يلوح
بالصكوك إلى الأعلى (إن الرجل إذا ارتكب الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها،
فهذى الغفرانات أو صكوك البابا كفيلة بأن تنحى الغفران الكامل). ولما كان
مارتن لوثر يعتقد أن النجاة من القصاص والعقاب لا تأتي إلا عن طريق الإيمان
بلاط وبرحمته فقط، فقد استنكر هذا العمل.

انتهى لوثر فرصة اجتماع الناس على عادتهم في كنيسة ورتونبورغ
في الحادي والثلاثين من تشرين الثاني 1517م عند الاحتفال بعيد
الشهداء أحد أعياد الكنيسة الكاثوليكية
الباحش في الوقت نفسه Wartenberg All saints Day بكذري تدشين كنيسة وقعة وتنزيل ذاتها، فوقع لوثر على باب الكنيسة في هذا
اليوم احتجاجاً طويلاً يتالف من خمس وتسعين حجة
صحبة إعلان صكوك الغفران. تلك البنود التي أطلقت جذوة الإصلاح
الديني في ألمانيا.

وكان من جملة ما ورد في هذا الاحتجاج أن الكنيسة لا تستطيع أن تخلص
أحدا من العقاب، وكان المسيحي ينال المغفرة من الله عن طريق الإيمان التام بالله
و ليس من الضروري بالأعمال الصالحة، وليس هناك ما يدعو لجعل الكنيسة
واستناء بين الفرد وربه، لأن التائب الحقيقي ينال المغفرة من الله دون أن يحصل

(56) محمد فؤاد شكري ومحمد الأسد، أوريا في العصور الحديثة، ط 1، مكتبة الـ نجل المصرية (مصر،
1956)، ص 64.
(57) الشناري، المصدر السابق، ص 374.
(58) فشار، المصدر السابق، ص 100.
(59) Eltom, op.cit, p.15.
على غرار الكنيسة (60). ووجه لوثر الدعوة لكل من أراد المناقشة في هذه الأراء الدينية وفي حجته التي علقها على باب كنيسة تونبورغ (61). فضلاً عن أن البابا ليو العاشر Leon X أراد أن يدعو لوثر إلى روما لكي يدافع عن نفسه في مسألة المواد التي أعلنها لوثر في الكنيسة، ولكن فريدريك أمير سكسونيا أقنع البابا بالعدول عن ذلك (62).

وخلال مناقشة لوثر مع يوحننا تنزل ومع غيره من العلماء مثل جون المؤيدين لكنيسة روما، فقد لوثر نظام الكنيسة وسلطتها العليا وتعاليمها، وصرح بأن الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد، وفي جميع المسائل المختلف عليها. كما أنكر أن المجالس الدينية منزهة عن الخطأ (63). وكان كل شخص مثقف باستطاعته أن يقرأ الإنجيل وهو حر في تفسيره على حسب فهمه وإدراكه له وإن ليس للبابا الحق في احتكار تفسيره، كذلك يجب إباحة الزواج للنساء وإحلام رجال الدين للسلطة الزمنية (64). فوجد تنزلان لوثر فكره مستند من

(60) محمد محمد صالح ، تاريخ أوريا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية 1500-1789 ، مطبعة دار الخاطف ، (بغداد ، 1981) ، ص 182.
(61) أبو عليه ، المصدر السابق ، ص 96.
(62) صالح ، المصدر السابق ، ص 182.
(63) شكري وليام ، المصدر السابق ، ص 94.
(64) الطريق ، المصدر السابق ، ص 96.
فكر حنا هس (65)، حيث لم يتراجع في الحوار عن شيء من آرائه (66).

وقد لاقت آراء لوثر رضا الكثيرين. ونالت حديثه انتباه محتمسون في ألمانيا، وهم الساخطون على تصرفات الكنيسة في روما وتحكم البابا في قباب العبد، وادعاءه وال المختلفة على الغفران عند الله (67). لذا تجمعت فئات واسعة من سكان ألمانيا حول شعارات لوثر في المرحلة المبكرة من حركته، ولكن كل فئة كانت تتعلق من مصالحها الخاصة في المساحة في هذه الحركة. فكان النبلاء يطمحون من خلال مشاركتهم توسيع ممتلكاتهم عن طريق الاستحواذ على ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية، وال-counter-reformation ساهموا في الحركة لتحرير الفكر الأوروبي من قيود الكنيسة، والتطلع إلى حياة جديدة أفضل (68). أما الفنات الفقيرة فكانت حركة

(65) ولد في بوهميا عام 1370م وتولى شهادة البكالوريوس في علوم الدين في عام 1393م، ثم حصل على درجة الماجستير في الآداب ونال رأي جون ويلف (1384-1330) المصلح الإنجيلي حتى اعتبره البعض تلميذا له، وقد أخد الوعظ والتساؤل وسيلة لمراقبة نواحي الضعف في الكنيسة، وتدن بالحياة البذك التي كان يعيشها رجال الدين. وتحدى البابوية حين طرحت صكوك الغفران للبيع. وقال أن أوامر البابا ليست لها صفة القضاة وليس لها طابع الإلزام، وأنها إذا تعارضت مع تعاليم السيد المسيح عليه السلام تعتبر لاذعة وفقد قوتها الإلزامية. وقد أثر البابا السلاج التقليدي ضده وهو = قرار الحرام، وترتب على ذلك عزله من منصبه في جامعة براغ وطرد من المدينة كله فذهب إلى جهة قريبة = في بوهميا، وذلك مضى ببطء اراءه وتعاليه ثم أصدر المجمع المسكوني في مدينة كونستانت بياتيه بتمهير الهرطقة وإعدامه حرقا وهو حي. وتلتقي الحكمة بإجراقه حيا في السادس من تموز 1415م. لمزيد من التفاصيل أنظر: الشناوي، المصدر السابق، ص 358-359.

(66) لوثر، المصدر السابق، ص 41.

(67) المصدر نفسه، ص 96.

(68) مارتن لوثر: بداية الإصلاح ونشأة (البروتستانتية)، م. د. ياد على ياسين، مراد، المصدر السابق، ص 54.
الإصلاح الديني بالنسبة لها تعني إجراء تغييرات جذرية في الكنيسة والنظم الاجتماعي، ولا تهتم بالنقاشات الفكرية والدينية(69).

المضامين الفكرية لرسائل مارتن لوثر

وفي العام 1520م حشد لوتر الرأي العام بسلسلة من الرسائل الدينية التي ضمنها معتقداته وأراءه الأساسية(70). سميت "الرسائل الثلاث العظمى في حركة الإصلاح الديني"، وكانت الرسالة الأولى عبارة عن نداء وجهة باللغة الألمانية إلى قادة الفكر من غير رجال الدين في ألمانيا، حيث في هذا النداء على الشروع في إصلاح الكنيسة بأنفسهم دون الاعتماد على رجال الكنيسة. وكان عنوان هذه الرسالة "إلى هيئة النبلاء المسيحيين من الأمة الألمانية بصدمة العالم المسيحي"(71).

وكانت الرسالة الثانية وقد وضعها باللغة اللاتينية عنوانها "حرية الرجل المسيحي" ووجه الرسالة إلى البابا ليو العاشر على أنها نداء للسلام، وقال مخاطباً هذا البابا إنك لا تستطيع أن لا تذكر أن تكون ما يسمى ببيئة الكهنوت الروماني أشد من بابل وسدوام. ولقد أظهرت احتقاري وانتابي الغضب، لأن الشعب المسيحي يخدع تحت ستار اسمك واسم الكنيسة 000(72). وكانت الرسالة الثالثة باللغة اللاتينية أيضاً وجهها إلى رجال الفقه الديني، اظهر فيها ضعف البابوية وتدور أخلاقي رجال الدين، ووضع عنواناً لها "مقدمة عن الأسر البابلي

(69) الزيدي، المصدر السابق، ص 425.
(70) بالمر، المصدر السابق، ص 131.
(71) فتحر ، المصدر السابق، ص 101 ؛ الشناوي، المصدر السابق، ص ص 279-280.
(72) الشناوي، المصدر السابق، ص 280.
الكنسي (73). وفيها (شبه لوثر رجال الكنيسة أسرى بيد اليهود، كما كان اليهود أسرى في بابل عند بخت نصر) (74).

وختم لوثر هذه الرسائل بتسعد السينات التي يجب التخلص منها للإنقاذ ألمانيا وتحسين اقتصادياتها، وكان نظره إلى الدين يرمي إلى ثورة اجتماعية تطلب تخفيف عدد الأديرة إلى عشرة، والسماح لمن يريد ترك حياة الراهبة بتركلها، وإشارة إلى المصارف الناتجة عن كثرة الاعياد التي كانت سابقاً في تأخير أعمال الناس اليومية، وطالب بالسماح لرجال الدين بالزواج مثل بقية الناس، وبإصلاح الجامعات وإلغاء دراسة أرسطوم من مناهجها (75).

كان البابا لاوي العاشر يعتقد في أول الأمر أن ما حدث عبارة عن شجار بين الراهبان يمكن حله دبلوماسياً. لكن ظهر فيما بعد أن ما يقوم به مارتن لوثر هو تحدي سلطة الكنيسة وترد على رفض مبادئ الكنيسة الكاثوليكية (76). وذهب لوثر في أفكاره إلى مدى أبعد من ذلك عندما طالب الناس بمحاربة البابوية وانصارها، فقد قال (ما دعنا تلقى اللصوص، وندعم قطاع الطرق، ونحرق المارقين، فلماما لا نقاتل رؤوس الفساد هولاء الكرادلة والبابوات وكل الفئة القابعة في روما) (77).

(73) Helm, op. cit., p. 116;
(74) صالح، المصدر السابق، ص 183.
(75) ملجن، المصدر السابق، ص 75.
(76) صالح، المصدر السابق، ص 184.
(77) مزادر، المصدر السابق، ص 55.
 موقف البابوية من آراء لوتر

أفادت الكنيسة على حركة لوتر بان اصدر البابا ليو العاشر قرار الحرمان ضد لوتر في شهر أيلول 1520م (78)، والذي يعتبر فيه Lexcommuuoication البابا كان أراه لوتر بدعة مضللة، ومنح لوتر مدة شهرين للتراجع عن زيته (79).

وقد ختم البابا قرار الحرمان بختم من الرصاص الذي لا يستخدم الا في القضايا الخطيرة (80). ثم كان رد فعل لوتر عليه ان هاجم البابوية والكنيسة الكاثوليكية بمقالات عنيفة وسمى البابا في إحدى مقالاته "عبدو المسيح" (81). ولم يكتم بذلك بل احرق قرار الحرمان علانية وبصورة رسمية أمام حشد من الطلبة في ساحة جامعة وتونبورغ (82). ثم كتب لوتر بعد ذلك لأحد أصدقائه يقول (إن العاصفة التي أثارها البابا لن تهدأ إلى يوم الدينون، لكن لوتر رغم ذلك كله لم يكن يدع إلى الثورة الدموية، بل كان يعارض بشدة الإصلاح المفاجئ، علماً أن الثورة كانت آتية لا بد منها) (83).

ومع تفاقم الأمر طلب البابا من البابا الأمبراطور شارل الخامس ان يلقى القبض على مارتن لوتر وقمع حركته وتنفيذ قرار الحرمان الصادر ضدّه باعتباره مارقا خارجاً على المسيحية (84). ووضع هذا الموقف لوتر في مركز الاهتمام لدى كل

(78) شكري وآنيس، المصدر السابق، ص 95.
(79) سليمان، المصدر السابق، ص 75.
(80) صالح، المصدر السابق، ص 184.
(81) مراد، المصدر السابق، ص 55.
(82) البطريرك، المصدر السابق، ص 97.
(83) سليمان، المصدر السابق، ص 76.
(84) البطريرك، المصدر السابق، ص 97.
القوى المعادية للبابوية في ألمانيا، وكل القادة الأوروبيين، حتى أن ممثل البابا في ألمانيا كتب في تقرير له إلى روما أن "تسعة أشعار الألمان يبتفون بالحياة للوثر أما العشر الباقين فينادي بالمغتلا مدة البابوية على الأقل". وطالب لوتر الإمبراطور شارل الخامس أن يحرر روما نفسها من البابوية ومصادرة ممتلكاتها في ألمانيا، كما طمح شارل الخامس في الحصول على دعم من البابوية في إقامة إمبراطورية كاثوليكية كبيرة، لكنه رأى في قضية لوتر خطرًا عليه.

**موقع المجلس الإمبراطوري المنعقد في وورمhz**

من لوتر.

لقد طلب البابا من شارل الخامس عقد اجتماع إمبراطوري نسبي إلى امبراطورية النمسا والمجر في المجلس (الدافت) الألماني في مدينة وورمز على أن يدعو لوتر للنذر أمام المجلس للمحاكمة في السابع عشر من نيسان 1521م، كما منح الإمبراطور شارل الخامس الأمان للوثر عند سفره إلى مدينة وورمز، والإقامة فيها طالما أناقض المجلس، وتم أن يعود إلى بلدته دون أن يتعرض له أحد بسوء.

---

(85) مراد، المصدر السابق، ص 55.
(86) الزيدي، المصدر السابق، ص 426.
(87) وهي مدينة ألمانية تقع على نهر الراين. انظر: الشناوي، المصدر السابق، ص 382.
(88) الثورة على الكنيسة المستمدة من شبكة الإنترنت: الموقع
(89) الشناوي، المصدر السابق، ص 382.

**م. د. أياد علي ياسين**

**مارتن لوثر : بداية الإصلاح ونشأة (البروتستانتية)**
عندما ظهر لوثر أمام مجلس الإمبراطورية الهايبربورغية للمحاكمة طلب منه التبرؤ من أطرافه والتكير لها أمام السلطات الدينية والدنيوية. رفض لوثر أن ينكر ولو سطرا واحدا من كتاباته، وتمسك بموافقاته من الاستبداد البابوي الذي تعاني منه الأمة الألمانية(90)، ولكنه أضاف إلى ذلك قائلاً (إن القرارات الصادرة باسم البابا قد خالفت الصميم المسيحي أحياناً وأن الأمة الألمانية تعاني كثيراً من نهب موظفي الكنيسة لأموالها) (91)، وبعد هذه العبارة مس لوثر عصبها حساساً في تلك الفترة، إذ مزج قضية دينية مع إحساس قومي كان متشائراً في الناس. وبذلك أصبح المشكلة ديني أكثر عرضة للانفجار (92). ولكن أظهر استعداده للرجع عن آرائه، أنهم أقنعوه بحجج من الكتاب المقدس، أما أن لم يفعلوا فهو بياق على ما هو عليه (93). ولكن أمير سكسونيا فرديناند قال (إن خطاب الدكتور لوثر كان مؤثراً) ثم سمح للوثر أن يرجع إلى موطن إقامته في مقاطعة سكسونيا لأن الإمبراطور قد منحه الأمان السالف الذكر (94).

(90) لوثر والإصلاح الديني.

www.alwaraq.com

(91) الشماوي، المصدر السابق، ص 382.


(92) لوثر والإصلاح الديني.

(93) مليمان، المصدر السابق، ص 76.

(94) صالح، المصدر السابق، ص 184.
موقف أمير سكسونيا من لوتر

لم يكن من السهل القبض على لوتر ومعاقبته حتى لو لم يعترف الإمبراطور
الآمان في الوقت الذي كانت الجماهير الحاشدة تتفتح له ومعظم الأراء كانوا
يؤيدونه. لذلك لم ينفذ الرايخ الألماني (96) أي قرار بشأن لوتر الذي يقى حراً
طبقاً. وفي شهر ايار 1521م وبعد أن تفرق أعضاء الرايخ، اصدر الإمبراطور
قراراً يقضي باعتقال لوتر (97)، ووضع كتبه على قائمة الكتب الممنوع قراءتها،
بل واحرقت في الساحت العامة مع مصادر ممتلكات أعوانه. ()
ألا أن أمير
سكسونيا أحاط لوتر بسياحة من الحماية، وأخفوه في إحدى قلاعه الحصينة في قصر
ورتنبورغ Wartenbourg، من أعمال مطرفة كانت ستخذها الكنيسة
الرومانية ضدده حيث بقي لوتر في منأى عن الملاحقة (99).

المصدر نفسه، ص 184.

(95) تسمية الرايخ جاءت في عام 962م مع تتويج القيصر أوتو الأول الذي قام ممدا على رايخ منطقة شرق
فرانك. ومنذ عام 1512م يعرف رسمي باسم "الرايخ الروماني المقدس" للأمة الألمانية، معروبا بذلك عن
هذه في خلافة "الإمبراطورية الرومانية" القديمة من جهة، وعن الأزمة المقدسة في القيصر من جهة أخرى.

استمر "الرايخ" أكثر من ثمانية قرون، حتى عهد فرانس الثاني من هابسبورغ، الذي تخلي عن عرش
القفرشية في عام 1806 بناء على طلب نابليون بعد تشكيل حلف الراين. انتظر: مستهل من شبكة الإنترنت: 
الموقع

www.tatsachen-ueber.deutschland

(96) سليمان، المصدر السابق، ص 56-57;

(97) الأصولية المسيحية في الغرب.

www. Nizwa.com

(98) Helm,op.cit.p.115;

(99) سليمان، المصدر السابق، ص 76.

www.tatsachen-ueber.deutschland

(96) سليمان، المصدر السابق، ص 56-57;

(97) الأصولية المسيحية في الغرب.

www. Nizwa.com

(98) Helm,op.cit.p.115;

(99) سليمان، المصدر السابق، ص 76.
كان أمير سكسونيا ضد أطماع الإمبراطور التوسعية، لذلك وجد في الحركة اللوثرية وسيلة جيدة لمقاومة مخططات الإمبراطور وأطماعه. بقي لوثر في مخبنه حتى شهر آذار 1522م. عاد بعدة إلى موطنه وظل اعتقاله دون تنفيذ حيث كان الإمبراطور مشغولاً في هذا الوقت بحروبه ضد ملك فرنسا (100). وكان لوثر قد استغل مدة إختيائه في ترجمة الإنجيل من اللغة اللاتينية إلى الألمانية فأخبر أسراً الذين من احتكار الرهبان لأنهم وحدهم من يتقن اللغة اللاتينية مستغلين جهل الناس للغة في نقل تعاليم الدين لتحقيق مصالحهم الشخصية باعتبارهم المصدر الوحيد للتعاليم المقدسة (101). وكان لهذه الترجمة نجاح كبير لأنها كتبت بلغة بسيطة يفهمها عامة الشعب (102). وأصبحت هذه الترجمة تحفة في الأدب الألماني (103). كما ساعدت في تطور حركة الإصلاح الديني، فقد أعطت الألمان الفرصة للاستعانة ببعض نصوص الكتاب المقدس في دعم مطالبهم الاجتماعية والسياسية (104).

لكن الوحدة التي تحققها للحركة اللوثرية خلال السنوات الأولى أخذت تتفتت خلال الفترة اللاحقة، وبالذات منذ عام 1521م عندما ارتبط لوثر بمصالح

(100) البطريق، المصدر السابق، ص 97. (101) الحركة البروتستانتية.

www.alitijahalakhar.com

مصدر من شبكة الإنترنت: الموقع

(102) Helm, op.cit, p.117;

(103) روئاد ستورمجر، تاريخ الفكر العربي الحديث 1601-1977-77، ترجمة أحمد اللباني، ط 3، القاهرة العربي، (مصر، 1994)، ص 759؛ صاحب، المصدر السابق، ص 185.

(104) الزريدي، المصدر السابق، ص 426.
مارتن لوثر: بداية الإصلاح ونشأة (البروتستانتية)

الأمراء الألمان. واخذ لوثر يؤكد ضرورة استخدام أساليب سليمة علمية للإصلاح الفكري، ويطلب فصل الكنيسة الألمانية عن البابوية ومصادرة ممتلكات الكنيسة واقامة تنظيم كنسي جديد، وتقرب الى الأمراء الألمان، وابعده عن الجماهير بشكل تدريجي.

تأثير إصلاحات لوثر الدينية

لقد أحاطت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ألمانيا بالنظام الدینیة الجديدة، التي أحدثت انقلاباً كبيراً في التفكير الفكري أولًا، وانقساماً خطيراً داخل الكنيسة الكاثوليكية ثانياً. فاتخذت بعض الفئات العنف وسيلة لتحقيق ما كانت تطمسم فيه من إصلاح أحوالها، فقامت حركتان خطيرتان ادتتا إلى التصادم بين الشعب والسلطة، هما.

Move des Chevaliers

1. حركة الفرسان

لقد كانت طبقة الفرسان تختلف عن بقية أفراد الشعب، فقد كان الفارس الواحد يمتلك أرض إقطاعية صغيرة يتوسطها بيئة المبنى على شكل قلعة، ولم يعترفوا بالسيطرة إلا للإمبراطور نفسه، ولم يكن لديهم من يمثلهم في الدايت الألمانية، ومن هنا كان لا بد لهم أن يعتمدو على أنفسهم في قوتهم وضمانهم حتى يتمكنوا من الحفاظ على مراكزهم ضد أمراء الولايات من جهة وضد الإمبراطور.

(105) مراد، المصدر السابق، ص 56.
(106) الزيدى، المصدر السابق، ص 426.
(107) مخزوم، المصدر السابق، ص 105.
(108) الطريقي، المصدر السابق، ص 97.
من جهة أخرى، إلا أنه في أواخر العصور الوسطى غضبت هذه الطبقة بعد أن فقدت مكانتها الاجتماعية والأقتصادية التي كانت تتمتع بها في عهد الأنظمة الإقطاعية، وقد دفعهم سوء حالهم الذي وصلوا إليه إلى محاولة إظهار القوة والبطش، فكان بعضهم يبيت أموال التجار أو يهاجم الفلاحين وينهب مواردهم أراضيهم (109). وقد اشتت تأخرهم عندما وجدوا معظم مواردهم التي يحصلون عليها من الأرض تذهب إلى الكنيسة (110).

رأت طبقة الفرسان أنها بأمس الحاجة إلى فرصة لاعلان الثورة على الأمراء والبطارقة، وكانت هجمات لوثر على الكنيسة مشجعة لهم (111)، كما كان لوثر قد دعا الشعب الألماني إلى تطهير الأرض من مضطهديه (112)، وضح شارل الخامس المجال أمام الفرسان للثورة عند خروجه من البلاد عام 1522 م، متجها إلى إسبانيا (113).

وفي الثالث عشر من أب 1522 م تار الفرسان على طبقة البرجوازيين والشركةيين متمهين غياب شارل الخامس، حيث كانت الأراضي الغنية التي تمثلها الكنيسة مباحة ويمكن الاستيلاء عليها بسهولة (114). فهاجموا الكنيسة.

ملاحظات:
109 المصدر نفسه، ص 98.
110 شكري وأنيس، المصدر السابق، ص 96.
111 حافظ، المصدر السابق، ص 170.
112 دول. دورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي محمود وعبد الحميد يونس، ج 24، (دم، 1981)، ص 72.
113 سليمان، المصدر السابق، ص 77.
114 دول. دورانت، المصدر السابق، ص 72.
الإصلاح، وكان من أبرز الفرسان الاثنين ارخ فون هوتن الذي تزعم حركة التأييد القومي لمارتن لوثر ضد البابا. باعتبار البابا غريباً عن الوطن ينزل الأموال من ألمانيا بدون وجه حق.
وفي الوقت نفسه اتخذ الفرسان تلك الثورة وسيلة أخرى للتخلص من سلطات أعدائهم من الأمراء (115).

وقد ساعد هوتن في حركته فارس مشهور آخر اسمه فرانز فون سكينجي وهو الذي بدأ حرب الفرسان. عندما نشب الخلاف بينه وبين رئيس أساقفة تريز الذي كان في الوقت نفسه نائباً لها. لقد حاصر سيكينجي مدينة تريز وقفها بمشوارات تحرج الناس على الانضمام إليه لخلع الحاكم الأسقفي، ولكنهم لم يلبوا طلبه، وكان من الطبيعي على الأمراء مساندة الأسقف، وجمع كبير الإسقافات فرقاً عسكرياً وقادها بنفسه، ثم قام بخمس هجمات مضادة أجبر سيكينجي رفع الحصار عن المدينة، وتراجع إلى قلعته لاند شتول (116). ولذلك لم يقوى سيكينجي على الصمود أمام أسلحة الأمراء الحديثة، وهزم ثم قتل تحت أنقاض قلعته، واضطر الفارس الآخر هوتن إلى الفرار إلى سويسرا حيث توفي بعد مدة وجيزة من عام 1523م (117). ومن ذلك حين استبدلت فئة الفرسان كقوة وعامل أساسي ذات أهمية في ألمانيا (118).

(115) البطريرك، المصدر السابق، ص 98.
(116) نورت، المصدر السابق، ص 72; حاتوم، المصدر السابق، ص 170.
(117) البطريرك، المصدر السابق، ص 98.
(118) شكري وأنيس، المصدر السابق، ص 99.
Move des Paysads

كانت طبقة الفلاحين في ألمانيا تعاني بدرجة كبيرة من سوء أحوالها الاقتصادية والاجتماعية، فهي تعاني أعباء ثقيلة من حياة السخرة وفرض الضرائب عليها من قبل الأمراء ورجال الدين والسادة الإقطاعيين، فضلاً عن أنهم كانوا محرومين من مزاولة أعمال أخرى التي كان يتمتع بها الفرد العادي مثل حق صيد الأسماك والحيوانات (119). ولقد أصبحت هذه العبودية القانونية السائد ليس في أوروبا الغربية بل الشرقية أيضاً (120).

وجاءت تعاليم لوثر في وقت تفاقمت فيه روح التذمر والسكن بين الفلاحين ضد السلطات الدينية وال الزمنية، ولما كان لوثر يطالب بحرية الإنسان، اعتقد الفلاحون أن الأوان قد حان لاستغلال مبادئه في الثورة على الأوضاع الراهنة (121). ولم يعترض لوثر على ثورة الفلاحين لان هدفها الرئيسي كان مناهضة الكنيسة الكاثوليكية ومفاسدها (122).

بدأت هذه الحرب من بحيرة كونستانتس وسرعان ما انتشرت على نطاق واسع وبلغت عنفتها في الأقاليم الواقعة في الجنوب الغربي من ألمانيا وفي


الحوض الأعلى لنهر الراين وحوض الدانوب (123). وقد استولت جماعة من الثوار على السلطة الإدارية في بلدية هايلبرون وروتينبرغ وبرونسبورج، واعلنت حكومة الكمون في فرانكفورت بأنها سوف تمثل سلطة المجلس البلدي والعبدة والبابا معاً. وفي روتينبرج طرد القساوسة من الكاثدرائية، وحطمتم التماثيل الدينية (124). وفي السابع والعشرون من أيار 1525م أفرغ الناس مخازن النبيذ التي يملكها رجال الدين، مما تخلت مدن الفلاحين الخاضعة للسادة الإقطاعيين عن ولاتها لهم، وطالبوا المدن الخاضعة للأوامر بإنهاء امتزازات رجال الدين، وثاروا غضباً مطلبيين بتخصيص أملاك رجال الدين للأغراض الدنيوية، وانضمت دوقية فرانكونيا إلى الثورة، كما ان الأوراق تقبلوا الإصلاحات التي طلبت منهم، من أمثال أسقفة سببير وبامبرج ورهبان دير كيمنتين ودير هرتسففرد (125).

استمرت هذه الحرب في بعض المناطق حتى عام 1526م والتي تحولت إلى حركة شعبية واسعة طالب فيها الفلاحون إيقاف الضرائب والإلاتوث وأعمال السخرة وإعادة الأراضي العامة إليهم (126)، فضلاً عن تخفيض ضريبة العشور التي تعطي لسلطات الكنيسة ومنحهم الحق في اختيار رجل الدين في كل مجتمع من

(123) رولان موستني، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف اسعد داغر، المجلد 4، منشورات عويدات، بيروت 1966، ص 86؛ المصدر السابق، ص 397، حافظ، المصدر السابق ص 170.
(124) ديورانت، المصدر السابق، ص 84.
(125) المصدر نفسه، ص 84.
 المجتمعتين، كما طالبوا بأن يعاملوا على ضوء ما جاء في الكتاب المقدس الذي لا يفرق بين العبد وسيده (127). وقد صاغوا مطالبهم في وثيقة عرفت بـ (بنود الاثني عشر) (128).

هذا وقد انتهى أحد زعماء الإصلاح ويدعى توماس مونزر (Zwichau) الذي كان حاكما للمدينة الألمانية زويكو (Thomas Munzer) الفلاحين ضد سلطة الحكومة، فنصب نفسه زعماً لثور الفلاحين، حيث كان يحمل أفكار راديكالية (129) ذات طابع يسارى اجتماعي، هاجم فيها الإقطاعيين والنهباء ورجال الدين (130). كما أمّن مونزر بالعقل الإنساني وعدة شهد الأشياء، وان المسيح إنسان عادي وبني وأمن بعدة المسيح إلى الأرض، ولكنه فسر ذلك بثورة اجتماعية (131). وعد مونزر الأمراء والفرسان مستغلين ومارقين عن الدين ويجب القضاء عليهم (132)، كما دعا إلى اتحاد مسيحي شامل لتنفيذ هذه المهمة. وبعد طرده من سكسونيا جاب العديد من الأقاليم والبلدان (133). وكان ذلك بداية الانشقاق في حركة الإصلاح الديني في ألمانيا.

(127) الطرقية، المصدر السابق، ص 99-100، سليمان، المصدر السابق، ص 77.
(128) ديرارا، المصدر السابق، ص 79.
(129) هم الذين يريدون تغيير النظام الاجتماعي من جذوره، وتطلق كلمة الراديكالية بالمعنى الفلسفي على الذين يؤمنون بفكرة المشاركة الاجتماعية، لمزيد من التفاصيل انظر: د. محمد عبد الرحمن مصطفى، الأخروات، موسوعة الهلال الاشتراكية، (دم، دت.)، ص ص 240-241.
(130) الشناوي، المصدر السابق، ص 398؛ الطرقية، المصدر السابق، ص 100.
(131) الزيدي، المصدر السابق، ص 426.
(132) مراد، المصدر السابق، ص 56.
(133) الزيدي، المصدر السابق، ص ص 426-427.
لم تكن قيادة مونزير للثورة بشكل حاسم، فقد فلنت زمام الأمور من يده، وعمدت عناصر كثيرة إلى التطرف في مبادئ الثورة حتى طالبت بشيوعة الملكية وغالباً في أعمال العنف والتلف، وقابل الأمراء والنبلاء تلك الثورة بمعتقدهم في ارتكاب الأعمال الوحشية والتعذيب في حق من تصل إليه أيديهم من الثوار. وقد تمكّن الأمراء وجميع الفرسان مع القوات الإمبراطورية من قمع هذه الثورة وأخذوا بدون رحمة في موقع فرانكوزن في شهر أيار Frankenhausen 2515م واعتدت مونزير مع عدد كبير قادة الثورة(135).

لقد أخفقت الحرب الفلاحية في تحقيق أهدافها لأسباب عديدة، منها عدم وجود قوى متكافئة بين الطرفين، وتشتت القوى الفلاحية، مع زيادة الثقة بالأمراء والإقطاعيين. كما أن القوى المتحالفة مع الثورة من الفرسان وزعماء المدن خذوها في أحرج أمورها. وكان لموقف لؤثر المعادي للحركة الفلاحية عامل كبير في إخفاقها(136). فوصف الثوار بأنهم (الفلاحون المخربون الذين يسفكون الدماء)، وعزز لؤثر من مخاوفه المتزايدة بأن رسالته الحقيقية التي تقول "ان لانفاذ عالم آخر معتمد على الآية بمحبة ورحمة الله - عرفت سوء استخدام الزرادخاليين لها" (137). واتخذ لؤثر يخطب في الناس دعوته إلى الطاعة التامة للسلطات الحكومية، ونبذ وسائل الشدة والقصوة، بل لقد حرض الأمراء وكبار الحكام على ضرب الفلاحين وعدم التهان في القضاء على هذه الثورة، وعد

(134) البطريرك، المصدر السابق، ص 100.
(135) شكري وأنيس، المصدر السابق، ص 100.
(136) مراد، المصدر السابق، ص 57.
(137) شكري وأنيس، المصدر السابق، ص 100.
(138) Elton, op. cit, p.60.
مبادئهم الاقتصادية والاجتماعية تطرفاً لا تمت بصلة لحركة الإصلاح الدينى لأنها تعارض مع تطلعه إلى ضمان مساعدة الحكومة الألمانية في حركته الإصلاحية (139). وأدى هذا الاختلاف إلى تقوية نفوذ الأمراء والإقطاعيين وممارسة أشد أساليب الإقطاع، وتكرس تجزئة البلاد سياسياً (140). ولهذا فقد لوتر دعم الفلاحين له وقف إلى جانب النبلاء لنشر مذهبه الجديد (141).

لقد هوت ألمانيا إلى الحضيض بسبب هذه النكبة التي اتفقت فيها كثير من المال والرجال (142)، حيث لم تفقد ألمانيا من الأرواح والأملاك ما فقدته في ثورة الفلاحين إلا في حرب الثلاثين عاماً (1618 - 1648) (143). ويشير ديورانت في كتابه "قصة الحضارة" أن أكثر من منة وثلاثين ألف فلاح قتلوا خلال الحرب، أما الفلاحين أنفسهم فقد دمروا عدد كبير من القلاع والأدبي، وأقفرت القرى والمدن من ساكنها وأصبحت خراباً، كما تسرد ما يزيد على خمسين ألف فلاح وذخوا يهيمون في الطرقات العامة، وترملت آلاف النساء وتيتم الألاف من الصغار (144). وهكذا استمرت العبودية في ألمانيا قرونا بعد هذه الحادثة دون أن تخفف ويلاتها (145).

(139) الطرقي، المصدر السابق، ص ص 100-101.
(140) الزيدى، المصدر السابق، ص 427.
(141) Littlefield, op. cit, p.28.
(142) سليمان، المصدر السابق، ص 78.
(143) ديورانت، المصدر السابق، ص 92.
(144) ديورانت، المصدر السابق، ص 92.
(145) سليمان، المصدر السابق، ص 78.
المجلس الامبراطوري المنعقد في سبير عام 1529م

وضع الإصلاح الديني نفسه أمام خطر جدي وكبري من جراء أخفاق الحركة الفلاحية. فقد حاولت الكنيسة مجدداً استعادة نفوذها وهميتها في ألمانيا، ولكن معظم الأمراء الذين تمكّنوا حتى هذه الفترة من الاستحواذ على مساحات من ممتلكات الكنيسة المصادر، وفقوا ضر هذا التوجه، وتسبب ذلك في اندلاع الحرب بين الإمبراطور والأمراء الكاثوليك ومن خلفهم البابوية من جهة، والأمراء اللوثريون البروتستانت من جهة أخرى، وكان الحلف البروتستانتي للأمراء اللوثريين قد ظهر في ثلاثينيات القرن السادس عشر في ألمانيا (146)، احتجاجاً على قرار مجمع سبير الثاني المنعقد عام 1529م الذي وقع عليه خمسة أمراء وحكم اربع عشرة مدينة (147)، الذي نص على ان تكون قرارات وورمز المصادر عام 1521م نافذة المفعول والتي تقضي بإعدار دم لوتر وقمع ثورة اللوثريين، وإلغاء الحرية التي منحت للأمراء في مجلس سبير الأول عام 1526م في اختيار المذهب الذي يريدونه (148). واتخذ المجلس قراراً اخر للإبقاء على الكنائس اللوثرية في الولايات التي اخترت ذلك المذهب وسمح لها بممارسة عملها في نطاق العقد الجديدة، على ان يقام الفهد وفق النظام الكاثوليكي (149).

(146) مراد، المصدر السابق، ص 57.
(147) الشنائي، المصدر السابق، ص 407.
(148) شكري وآبل، المصدر السابق، ص 103.
(149) الطريق، المصدر السابق، ص 103.
أزعجت تلك القرارات الأمراء اللوثريين لأن اختيارهم للمذهب الجديد منحهم الفرصة للاستيلاء على أراضي الكنيسة الكاثوليكية في بلادهم. ومعنى تنفيذ قرارات سبير الثاني ان يحروما من الثروة التي حصلوا عليها. لذلك أعلنوا انهم لن يذعنوا لتلك القرارات ولا يتقيدون بها بل يحتجون عليها (150). ومن هذا الاحتجاج اشتق أنصار الحركة اللوثرية اسم البروتستانت أي المحتجون (151).

Les Protestants-

La Ligue de Smalkalde حلف شمالكلد

إن انشغال الإمبراطور آنذاك بالصراع مع فرنسا والدولة العثمانية أبده

عن الاهتمام الجدي بتحالف الأمراء البروتستانت الذين استغلوها ذلك بدورهم لتوسيع ممتلكاتهم على حساب أراضي الكنيسة، ولكن الإمبراطور بدأ بعد توقيع الصلح مع ملك فرنسا عام 1546م يتفرغ لمحاربة الأمراء البروتستانت، واستعان في صراعه معهم بجيش أسباني ضم أربعون ألف شخص واندلعت الحرب بين الطرفين، وهزم الإمبراطور الأمراء اللوثريين في موقعة مهلبرج عام 1547م واستسلموا للإمبراطور الذي يعمل من اجل فرض الكاثوليكية من جديد على كل ألمانيا، ويبحث تقليص نفوذ الأمراء، وأثارت إجراءات هذه استياء البروتستانت والكاثوليك الذين اثاروا تنامي قوة الإمبراطور

---
(150) المصدر نفسه، ص 103.
(151) التناوي، المصدر السابق، ص 407.
(152) مراد، المصدر السابق، ص 57.
مارتن لوثر: بداية الإصلاح ونشأة (البروتستانتية)

قلقه وفزعهم (153). وهكذا عقد حلف من البروتستانت والكاثوليك ضد الإمبراطور
سمي بـ (حلف شمالكاد)، ودعمه البابا خشية من الإمبراطور، (154) وكان
ذلك سراً (155).

La Paix Religieuse d'Augsbourg
صلح أوجزبرغ الديني
عام 1555م

عندما شن الأمراء هجوماً مفاجنا ضد الإمبراطور، ووقعوا به الهزيمة عام
1555م، هرب على أثرها إلى مقاطعة كارنتيا حيث كان شقيقه حاكماً عليها (156).
وبعد مفاوضات طويلة بين شارل الخامس والأمراء وبوسنة شقيقه فرديناند الذي
منح سلطات واسعة عقد مع اللوثريين صلح أوجزبرغ عام 1555م وبمقتضى هذا
الصلح حصل اللوثريون على حرية اختيار المذهب لسلك الإمارة (157). هذا وقد

(153) حاول الإمبراطور شارل الخامس فرض النظام المتبع الذي كان عليه عن مقرره كاثوليكية لكنه
انطلقت على شيء من السماح مع البروتستانت بكل رضاءهم كياحة زواج القس وطقوس العبادة
البروتستانتية وغيرها. لكن شارل الخامس لم ينجح في ذلك إلا لم يرق لأي من الطرفين، لأن البروتستانت
لم يجدوا فيه الكفاية لتحقيق رغباتهم، أما الكاثوليك فقد رفضوا أن يردوا دياناتهم تبعت بها السلطة الزمنية
بالتدخل في تفسير المسائل الدينية. انظر: الطريق، المصدر السابق، ص 108.

(154) كان البابا بول الثالث بدلاً من الإمبراطور شارل الخامس الكراهية وعدم الثقة. وعلى الرغم من انتصار
الإمبراطور في موقعة ميلربج على البروتستانت وكان هذا في مصلحة الكنيسة الكاثوليكية في روما، إلا أن
البابا كان يخشى من أن نشوة الانتصار قد تدفع الإمبراطور إلى تدمير نفوذه في شبه الجزيرة الإيطالية
ومحاولة إخضاع الكنيسة لسيطرته. انظر: الطريق، المصدر السابق ص 107-108.

(155) الزيدي، المصدر السابق، ص 427.
(156) مراد، المصدر السابق، ص 58.
(157) حافظ، المصدر السابق، ص 172.
تنازل شارل الخامس على عرش الإمبراطورية في العام نفسه بعد انهيار مشاريعه وأحلامه التوسوية وخلفه على العرش شقيقه فرديناند.

وهكذا بقيت أسباب الصراع تحرك في الوسط الألماني وكانت ألمانيا بحاجة إلى فترة أخرى من الصراعات والحروب لوضع نهاية لمشاكلها الدينية. ومن المعروف أن الأرض الألمانية شهدت الجانب الأكبر من وقائع واحدة من أشرس الحروب في التاريخ، ونفقت بها حرب الثلاثين التي أثرت بصورة سلبية في التطور اللاحق لألمانيا (159). وانتهاء أحلام شارل الخامس استمرت التجزئة السياسية والاقتصادية في البلاد، وضعفت السلطة المركزية، وتنامي سلطة الأمراء الإقطاعيين في ألمانيا. وهذا انقسمت الأخيرة إلى كاثوليك وبروتستانت، ونشبت صراع بين الأمراء والإقطاعيين الألمان، واكتسب الصراع بعداً دينياً بل سياسياً (160).

لِمْ يِكَنْ بِإِمَكَانِ صَلِحُ أَوجِرْبُرْغْ وَضُعِّ حِذْلَهَا الْصَّرَاعِ،

خاصة وأنه أهل جماعات دينية أخرى كالكالفينيين

(158) الزيدى، المصدر السابق، ص 427.
(159) مراد، المصدر السابق، ص 58.
(160) حاتوم، المصدر السابق، ص ص 172-173، الزيدى، المصدر السابق، ص 427.
(161) جماعة دينية تابعة إلى المذهب الذي نشره جون كالفن (1509-1564م) في جنيف، ووضع كالفين تعاليمه في كتاب "النظام الدين المسيحي" Christian Religions Institio، بإسم الوصاية العشر وقانون الإيمان والصلاة الربانية والإسرار والسلطنة الكเกษตรية. لمزيد من التفصيل، انظر: حارث يوسف غنية، البروتستانت والإنجيليون في العراق، مطبعة النذر المكتبي، (بغداد، 1998).
مارتن لوثر : بداية الإصلاح ونشأة (البروتستانتية)

ومارتن لوثر (1521-1580) الذي تشتهر بالغين والاضطهاد. ولم يقتصر الإصلاح الديني على ألمانيا وحدها، بل انتشر في بلدان أوربية أخرى، وخاصة سويسرا التي كانت تمثل الخطوة الثانية المهمة للإصلاح الديني.

الأستنتاجات

1- ان قيام المبادئ اللاهوتية الجديدة (البروتستانتية) قد هزت جذور الاستبداد لرجال الدين المسيحي، وساعدت على نمو الفلسفة التحررية من أيدي الكنيسة الكاثوليكية واسقاط سيادة روما، كما غيرت توزيع الثروة على نطاق واسع، وقد سهلت في نمو الدولة الزمنية، وخففت من قيضة التقاليد التي كانت سائرة في حياة وعقول الناس. كما كان لهذا الإصلاح محاولة لإعادة كشف أحوال الحياة والاستاليب التي درجت عليها الكنيسة المسيحية.

2- ان المجتمع الألماني كان يعاني من أزمة مالية جراء استحصال الكنيسة على الأموال من الألمان وبطرق متعددة منها بيع صكوك الغفران، وكانت لهذه الأزمة دور في تعجيل الإصلاح الديني، حيث كان الإنسان المسيحي يعتقد بأن النجاة من العقاب يأتي عن طريق البابا، وكان هذا من تأويل البابوات، حيث حالت الكنيسة من قيام نظام اجتماعي عام الانزواء. الصلح الفكري الذي لا يقبل حماصة Ulrich Zwingli (1484-1531) جامعه ذياءة تأثروا براءة أورك زونجي.

(162) مجموعة أبنية تأثروا براءة اورك زونجي.
(163) مراجع، المراجع السابق، ص 59.
القيم والأخلاق في بساطة المسيحية الأولى، فقد أنكر البابوات معظم
التعليمات الدينية كالتي تقول أن الله هو وحده صاحب السلام والصفيح، وأخذ
اهتمامهم في الأمور الدنيوية يسهو على عقولهم وانغمسوا في حياة الترف
والبذخ، وأدى هذا التطرف في سلوكهم الإنساني إلى هبوط وانحطاط
عام في المستوى الأخلاقي.

3- إن التيارات الفكرية والدينية التي جاء بها المصلحون الألمان ومنهم مارتن لوثر
كان لها حافز لأبناء الطبقة الدنيا من أهل الحرف والنساجين، ونظر
الورش، والفلاحين وكل من عاني الاضطهاد من قيام ثورة اجتماعية
اقتصادية وسياسية ضد سلطة البابا والإمبراطور والملوك، فليس من المعقول
أن المشاعر الدينية التي حملها المجتمع الألماني، في الثالث الأول من القرن
السادس عشر، لم تتأثر بما جاشت به نفس الناس من عواطف،
وخواطر، ومصالح شخصية ومادية فكان لكل هذه الحالات دوافع خاصة,
ومسببات تشداها بعضاً إلى بعض.
Abstract

Martin Luther: The Outset of Reform and Protestantism

Dr. Ayad Ali Yaseen (*)

Luther played an influential role in the religious reformation in Germany where he was interested in studying the different intellectual currents prevalent in his age such as mysticism, and the human philosophy.

Luther’s revolution was not a normal one against corrupt rule or bad social situation. But rather, it was a revolution against a theologic system that lost its credibility. Luther concluded from his religious readings that the Christians could not gain salvation thanks to their personal efforts but through a mercy from God for they believe in Him. This conclusion pushed him to reject some basic principles and beliefs in Catholic Church. So Luther distinguished himself in Christian history, for he was the man who saved the Christians from the papal authorities and brought them back to the freedom of religion. Luther himself led the schism that lasted in America, Britian and Germany up till the presentday.

(*) Dept. of History - College of Arts / University of Mosul.